أسماء النساء على حرف الميم

٤٧ ـ مريم بنت عمران بن ماتان بن أليعازر

منسوبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، الصديقة أم عيسى عليه السلام [٣٠/أ] كانت بالربوة ويقال إن قبرها بالنيرب ، ولم يصح .

وعن الحسن :

في قوله : ﴿ إلى ربوة ذات قرارٍ ومَعين ﴾[١] قال : إلى أرض مستوية ذات أنهار وأشجار ، يعني به أرض دمشق .

واسم أم مريم حنّة .

وعن سعيد :

في قوله : ﴿ إني نَذَرْتُ لَكَ مافي بطني مُحَرَّراً ﴾[٢] ، قال : للعبادة لا يشغله عنها .

وقال سفيان :

قالت : يخدم الكنيسة سنة ، فلما وضعت جارية قالوا : كيف تخدم الكنيسة امرأة وهي تحيض ؟! فألقوا الأقلام التي كانوا يكتبون بها الوحي ، فاستهموا بالأقلام أيهم يكفل مريم ، فخرج سهم زكريا ، وكانت خالتها[٣] عنده ، فكان عيسى ويحيى ابني خالة ، وكانوا من بني إسرائيل .

وعن ابن عباس :

في قوله عز وجل : ﴿ إن اللهَ اصطفى آدمَ ونوحاً ﴾[٤] يعني اختار من الناس

---

(١) سورة المؤمنون ٥٠/٢٣ . ومعين : ماء جارٍ ظاهر للعيون .

(٢) سورة آل عمران ٣٥/٣ .

(٣) في الأصل : خالته .

(٤) سورة آل عمران ٣٣/٣

لرسالته آدم ونوحاً ، ﴿ وآلَ إبراهيمَ ﴾[1] يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، ﴿ وآل عمران على العالمين ﴾[1] يعني اختارهم للنبوة وللرسالة[2] على عالَمي ذلك الزمان ، فهم ﴿ ذُرِّيَّةً بعضُها من بعض ﴾[3] فكل هؤلاء من ذريّة آدم ، ثم من ذرية نوح ثم من ذرية إبراهيم ، ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾[4] ابن ماتان ، واسمها حَنّة بنت واقوذ[5] ، وهي أم مريم ، ﴿ ربِّ إنّي نَذَرْتُ لَكَ مافي بَطْني مُحَرَّراً ﴾[6] وذلك أن حنة أم مريم كانت حاشت[7] على الولد والمحيض ، فبينا هي ذات يوم في ظل شجرة إذ نظرت إلى طير يَزُقّ[8] فرخاً ، فتحركت نفسها للولد ، فدعت الله أن يهب لها ولداً ، فحاضت من ساعَتها ، فلما طهرت أتاها زوجها ، فلما أيقنت بالولد قالت : لئِن نجاني الله ووضعت مافي بطني لأجعلنه محرراً .

وبنو ماتان من فلول بني إسرائيل من نسل داود .

والمحرَّر لا يعمل للدنيا ولا يتزوج ويتفرغ لعمل الآخرة ، ويعبد الله ، ويكون في خدمة الكنيسة ، ولم يكن يحرر في ذلك الزمان إلاّ الغلمان ؛ فقالت لزوجها : ليس جنس من جنس الأنبياء إلاّ وفيهم محرر غيرنا ، وإني جعلت مافي بطني نذيرة .

تقول : قد نذرت أن أجعله لله ، فهو المحرر .

فقال زوجها : أرأيت إن كان الذي في بطنك أنثى ، والأنثى عورة كيف تصنعين ؟ فاغتمت لذلك ، [٣٠/ب] فقالت عند ذلك حنة أم مريم : ﴿ ربِّ إني نذرت لك مافي

---

(١) سورة آل عمران ٣٣/٣ .

(٢) في الأصل : وللرسالي .

(٣) سورة آل عمران ٣٤/٣ .

(٤) سورة آل عمران ٣٥/٣ .

(٥) في تفسير ابن كثير ٣٥٩/١ : فاقوذ .

(٦) سورة آل عمران ٣٥/٣ .

(٧) في الأصل : حلست .

(٨) يزق : زقّ الطائر فرخه : أطعمه بفيه (الصحاح) .

بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾[1] يعني تقبل مني ما نذرت لك ، فاستجب لي بأن تجيبني من هذا سالمةً بعد الإجابة .

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قالتْ : ربِّ إنّي وَضَعْتُها أُنْثَى والله أعلمُ بما وضَعَتْ ﴾[2] وقد كنت إلهي نذرت لك ما في بطني إن نَجَّيْتني فَنَجَّيْتَني ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾[2] والأنثى عورة ثم قالت : ﴿ وإني سَمَّيْتُها مَريم ﴾[2] ، وكذلك كان اسمها عند الله ، ﴿ وإنّي أُعيذُها بِكَ وذُرِّيَّتَها ﴾[2] يعني عيسى ﴿ من الشيطان الرجيم ﴾[2] يعني الملعون .

فاستجاب الله لها ؛ فلم يقربها الشيطان ولا ذريتها عيسى .

قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ :

كل ولد ابن آدم ينال منه الشيطان نطفته حين يقع بالأرض بأصبعه ، ولها يستهل ، إلاّ ما كان من مريم بنت عمران وابنها عيسى ، لم يصل إبليس إليها .

قال ابن عباس :

لما وضعتها خشيت حنة أم مريم ألاّ تقبل الأنثى محررة ، فلفتها في الخرقة ووضعتها في بيت المقدس عند القراء ، فتساهم القراء عليها لأنها كانت بنت إمامهم ـ وكان إمام القراء من ولد هارون ـ أيهم يأخذها ، فقال زكريا : ـ وهو رأس الأحبار ـ أنا آخذها وأنا أحقهم بها ، اختها[3] عندي ، يعني أم يحيى ، فقالت القراء : وإن كان في القوم من هو أفقر إليها منك ، ولو تركت لأحق الناس بها تركت لأمها ، ولكنها محررة ، غير أنا نَتَساهم عليها ، فمن خرج سهمه فهو أحق بها ، فقرعوا ثلاث مرات بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي ﴿ أيُّهم يكفُلُ مريم ﴾[4] يعني أيهم يقبضها ، فقرعهم زكريا .

وكانت قرعة أقلامهم أنهم جمعوها في موضع ، ثم غطوها ، فقالوا لبعض خدم بيت المقدس من الغلمان الذين لم يبلغوا الحلم : أدخلْ يدك ، فأخرجْ قلماً منها ، فأدخلَ يده فأخرج قلم زكريا ، فقالوا : لا نرضى ، ولكن نلقي الأقلام في الماء ، فمن خرج قلمه في

---

(١) سورة آل عمران ٣/٣٥ .

(٢) سورة آل عمران ٣/٣٦ .

(٣) في الأصل : خالتها ، وأم يحيى أختها ، وقد تكون خالتها أيضاً عنده فعلاً ، كما سيرد في ص ٧٣ .

(٤) سورة آل عمران ٣/٤٤ .

جرية الماء ثم ارتفع فهو يكفلها ، فألقوا أقلامهم في نهر الأردن ، فارتفع قلم زكريا في جرية الماء ، فقالوا : نقترع [٣١/أ] الثالثة ، فمن جرى قلمه مع الماء فهو يكفلها ، فألقوا أقلامهم فجرى قلم زكريا مع الماء ، وارتفعت أقلامهم في جرية الماء ، وقبضها عند ذلك زكريا ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وكَفَّلَها زكريّا ﴾[1] يعني وقبضها ، ثم قال : ﴿ فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَها نباتاً حَسَناً ﴾[1] يعني ورباها تربية حسنة في عبادة وطاعة لربها حتى ترعرعت ، وبنى لها زكريا محراباً في بيت المقدس ، وجعل بابه في وسط الحائط ، لا يصعد إليها إلا بسلم ، وكان استأجر لها ظئراً[2] ، فلما تمّ لها حولان طعمت وتحركت ، فكان يغلق عليها الباب ، والمفتاح معه ، لا يأمن عليه أحداً ، لا يأتيها بما يصلحها غيره حتى بلغت .

وقيل :

إنهم لما خرجوا إلى نهر الأردن ، وألقوا أقلامهم التي يكتبون بها ، أيهم يقوم قلمه فيكفلها ، فجرت الأقلام ، وقام قلم زكريا على قُرْنَتِه[3] كأنه في طين ، فأخذ الجارية .

أصاب بني إسرائيل أزْمة ، ومريم عند زكريا على حالها حتى ضعف[4] زكريا عن حملها ، فخرج على بني إسرائيل فقال : تعلمون أني قد ضعفت عن حمل ابنة عمران ، فقالوا : ونحن قد جهدنا من حمل هذه السنة ، فتقارعوا بينهم ، فخرج السّهم على رجل من بني إسرائيل نجار ، يقال له : جريج ، فعرفت مريم في وجهه شدة مؤونة ذلك عليه ، فقالت : ياجريج ، أحسن الظنّ بالله ، فإن الله سيرزقنا .

فجعل الله يرزق جريجاً لمكانها منه ، فيأتيها كلّ يوم رزقها غدوة وعشية وهي في الكنيسة .

قال ابن عباس :

فكان زكريا يقوم بشأنها ، فكانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله من محرابها ،

---

(١) سورة آل عمران ٣٧/٣ .

(٢) في الأصل طيراً ، وهو تحريف ، والظئر : المرضع لولد غيرها في الناس (القاموس).

(٣) القرنة : الطرف الشاخص من كلّ شيء ، يقال قرنة الجبل وقرنة النصل . (الصحاح) .

(٤) في الأصل فوقها ضبّة يقابلها في الهامش كلمة : ضَفِر ، متبوعة بحرف ط . وضفر بمعنى افتقر كما في الصحاح .

فتكون مع خالتها وأختها يلسفع[1] أم يحيى ، فإذا طهرت ردّها إلى بيت المقدس ، فكان زكريا يرى عندها في المحراب العنب في الشتاء الشديد فيأتيها به جبريل من السماء .

وعن ابن عباس قال :

كان بنو إسرائيل إذا أرادوا أن يحرروا للمحراب ولد أحد منهم لم يحرّروه حتى يولد ، فإن كان غلاماً فشاؤوا أن يحرّروه لمهنة المحراب حرروه[2] [٣٢/أ] وإن كانت جارية لم يحرّروها للمحراب ، وإن امرأة عمران عجلت ؛ فنذرت ما في بطنها ﴿ فلمّا وضعتها قالت : ربِّ إنّي وضعتُها أُنثى ﴾[3] الآية .

فحملتها على خرقة وأدخلتها المحراب وقالت : أقضي ما نذرت لله عليّ ، فقالوا : ماهذه ؟ قالت : كنت عجلتُ ونَذَرتُ ما في بطني[4] محرّراً لمهنة المحراب ، فوضعتها أنثى ، فجئت لأقضي ما جعلته لله عليّ ، قالوا : وما شأن المحراب وشأن الأنثى ، فألقى الله في قلوبهم محبّة مريم ، فقالوا : ما كنّا نقبل الأُنثى ، سوف نقبل هذه .

قال : فوضعتها بين أيديهم وخرجت ، وتَشاحّ[5] القوم فيها ، فقال لهم زكريا : أخت هذه الجارية عندي ، وأنا أحقّ بها أن أكفلها . وكان في المحراب جدول يجري يشربون منه ويتوضؤون فيه ، فلما رأى زكريا إباءهم عليه قال : بيني وبينكم أقلامنا التي نكتب بها التوراة ، يجيء كل رجل بقلمه فيلقيه في هذا الجدول ، فأي قلم منها شقّ الماء فقد كفله الله هذه الصّبية .

قالوا : نعم ، فجاء كلّ رجل منهم بقلمه ، وجاء زكريا بقلمه ، فألقوها في الجدول ، فذهب الماء بأقلامهم ، واستقبل قلم زكريا الماء فجعل يشقّه ، فقال لهم زكريا : مَهْ ، قالوا : قد كفلكها الله تعالى ، فأنبتها الله نباتاً حسناً ، فجعل لها في المحراب بيتاً لا يدخل

---

(١) في نهاية الأرب ١١٥/١٤ : أسباع ، وقيل : بَلْيَشْفَع ، وفي البداية والنهاية وأحد أصول الطبري : أشياع ، وفي المطبوع من الطّبري أشباع (تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ٢٤٩ تحقيق سكينة الشهابي) .

(٢) في اللوحة ٣١/ب تكرار تصوير لما في ٣١/أ .

(٣) سورة آل عمران ٣٦/٣

(٤) في الأصل : بطنها .

(٥) تشاحّ : تشاح الرّجلان على الأمر : لا يريدان أن يفوتهما . (الصحاح والقاموس) .

عليها فيه إلاّ بإذنها ، فكان زكريا يستأذن عليها ؛ فتأذن له ، فيدخل عليها ، يسلّم عليها ، فتأتيه بمكيل عندها ، فتضعه بين يديه ، فيجد زكريا فيه عنباً في غير حين العنب ، فيقول : ﴿ يامريمُ أنّى لَكِ هذا ؟ ﴾[1] ، فتقول : ﴿ هو من عندِ اللهِ ﴾[1] .

[2] وقيل : هو ثمرة الشتاء في الصيف ، وثمرة الصيف في الشتاء الرّمان في غير حينه[2] .

فرغب زكريا في الولد ، [3](فقال : إن الذي أتى مريم بهذه الفاكهة في غير حينها [لقادر][3] أن يصلح لي زوجي ويهب لي منها ولداً)[3] ، فدعا ربّه ، فأوحى الله إليه يبشره بيحيى ﴿ قالَ ربِّ أنّى يكونُ لي غلامٌ وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغتُ منَ الكِبَرِ عِتِيّاً ﴾ ، ﴿ قالَ : ربِّ اجعلْ لي آيةً قال : آيتُكَ ألاّ تكلّم النّاسَ ثلاثَ ليالٍ سويّاً ﴾[4] .

قال أبو الحسن :

يعني هي آية البشرى ، فكان زكريا إذا قام يصلّي لربّه أطلق لسانه فيناجيه ، فإذا خرج إلى أهل المحراب اعتقل لسانه ، فيشير إليهم أن صلّوا كما كنتم تصلّون ثلاثة أيّام .

فلما بلغت [٣٢/ب] مريم فبينا هي في بيتها متفضلة[5] ، إذ دخل عليها رجل بغير إذن ، فخشيت أن يكون دخل عليها ليغتالها فقالت : ﴿ إنّي أعوذُ بالرّحمنِ منكَ إنْ كُنْتَ تقيّاً ، قال : إنّما أنا رسولُ ربّكِ لأهبَ لكِ غلاماً زَكيّاً ، قالتْ : أنّى يكونُ لي غلامٌ ولمْ يمسَسْني بشرٌ ولمْ أكُ بغيّاً ، قالَ : كذلكِ قالَ ربُّكِ ﴾[6] .

قال : فجعل جبريل يردّدُ ذلكَ عليها ، وتقول : ﴿ أنّى يكونُ لي غلامٌ ﴾[7] . قال : وتَغَفَّلها[8] جبريل فنفخ في جيب درعها[9] ونهض عنها ، فاستمر بها حملها ، فقالت :

---

(١) سورة آل عمران ٣٧/٣

(٢-٢) مابين الرقين لحق في هامش الأصل .

(٣) مابين القوسين مستدرك من (تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ٣٥٣) ؛ لأنها مطموسة في الأصل .

(٤) سورة مريم ٨/١٩ ـ ١٠

(٥) المتفضلة : تفضلت المرأة في بيتها : إذا كانت في ثوب واحد ، أو لبست ثياب مهنتها . (اللسان) .

(٦) سورة مريم ١٨/١٩ ـ ٢١

(٧) سورة مريم ٢٠/١٩

(٨) تغفلها : تَحَيَّن غفلتها . (اللسان) .

(٩) درع المرأة : قميصها . (الصحاح) .

إن خرجت نحو المغرب فالقوم يَصِلون نحو المغرب ، ولكن أخرج نحو المشرق حيث لا يراني أحد ، فخرجت نحو المشرق .

فبينا هي تمشي إذ فَجِئَها المخاض ؛ فنظرت هل تجد شيئاً تستتر به ؟ فلم ترَ إلاّ جذع النخلة ؛ فقالت : أستتر بهذا الجذع من الناس ، وكان تحت الجذع نهر يجري ، فانضمّت إلى النّخلة ، فلما وضعته خرَّ كلّ شيء يُعْبَدُ من دون الله في مشارق الأرض ومغاربها ساجداً لوجهه ، وفزع إبليس فخرج فصعد فلم يجد شيئاً ينكره ، وأتى المشرق فلم يجد شيئاً ينكره ، ودخل الأرض فلم يجد شيئاً ينكره ، وجعل لا يصبر ، فأتى المغرب لينظر فلم ير شيئاً ينكره ، وجعل لا يصبر ، فبينا هو يطوف إذ مرَّ بالنّخلة ، فإذا هو بامرأة معها غلام قد ولدته ، وإذا الملائكة قد أحدقوا بها وبابنها وبالنخلة ، فقال : هاهنا حدث الأمر ، فمال إليهم فقال : أي شيء هذا الذي أحدث ؟

فكلمته الملائكة فقالوا : هذا نبيٌّ ولد بغير ذكر ، قال : نبيٌّ ولد بغير ذكر ؟ قالوا : نعم . قال : أما والله لأضلَنَّ به أكثر العالمين ، أضلّ اليهودَ فكفروا به ، وأضلّ النّصارى فقالوا : هو ابن الله .

قال : وناداها ملك من تحتها ﴿ قد جعلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِيّاً ﴾[1] ، والسّريّ هو النهر بكلام أهل اليمن .

قال إبليس : ما حملت أنثى إلا بعلمي ، ولا وضعته إلا على كفي ، ليس هذا الغلام ، لم أعلم به حين حملته أمه ، ولم أعلم به حين وضعته .

قال :

وكان دعاء زكريّا ربّه لثلاث ليالٍ بقين من المحرّم ، قام زكريا فاغتسل ، ثم ابتهل بالدُّعاء إلى الله . قال : يا رازق مريم ثمار [٣٣/أ] الصيف في الشتاء ، وثمار الشتاء في الصيف ، ﴿ هبْ لي من لدنكَ ﴾[2] يعني من عندك ﴿ ذريّةً طيّبةً ﴾[2] يعني تقيّاً ، فأخبر الله نبيَّه ﷺ بقصة عبده زكريا ، ودعائه ربّه ، وإجابة الله عزّ وجلّ وتَحَنُّنِهِ

---

(١) سورة مريم ١٩/٢٤

(٢) سورة آل عمران ٣/٣٨

عليه ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ كهيعص . ذكرُ رحمةِ ربِّكَ عبدَهُ زكريّا ﴾[1] .

قال ابن عباس :

خمسة أحرف وخمسة أسماء مقطعة ، يعني بكاف : كافياً لخلقه ، ها : يعني هادياً لأوليائه ، يا : يعني يميناً يحلف به عباده ، عين : يعني عالماً بأعمال خلقه ، صاد : يعني صادقاً وعده .

ووهب الله له يحيى ولم يسمّ يحيى قبله .

وقيل :

إن جبريل عليه السلام نفخ ما بين جيبها[2] ودرعها ، فمكثت ما يمكث النساء ، فخرجت هاربة من أهلها نحو الشرق ، وخرجوا في طلبها ، فجعلوا لا يلقون أحداً إلاّ قالوا : هل رأيت فتاةً من حالها كذا وكذا ؟ فلقوا راعيَ بقرٍ ، فقالوا : ياراعي ، هل رأيت فتاةً كذا وكذا ؟ قال : لا ، رأيت من بقري شيئاً لم أره فيما مضى في ليلتي هذه ، رأيتها تسجد نحو هذا الوادي .

قال :

وجاءها المخاض ، فساندت إلى النخلة ، و ﴿ قالَتْ يالَيْتَني مِتُّ قبلَ هذا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً ﴾[3] حيضةً بعد حيضة ، فناداها جبريل من أقصى الوادي : ﴿ قدْ جعلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِيّاً ، وهُزّي إليكِ بجذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جنيّاً ﴾[4] ، قالت : لاأدري شاتية أو صائفة ، ﴿ فَكُلي واشْرَبي وقَرّي عَيْناً ﴾[5] ، فوضعَتْهُ وقطعَتْ سُرّتَه ، ولَفّتْه في خرقة ، فحملته ، فأقبلوا حيث رأوها ، فأقعدته في حجرها ، فأعطته ثديها ، فجاؤوا فقاموا عليها فقالوا : ﴿ يامريمُ لقدْ جِئْتِ شيئاً فريّاً ﴾[6] أي عظيماً ، فمن أين لك هذا ؟

---

(١) سورة مريم ١/١٩ ـ ٢

(٢) الجيب : جيب القميص : طوقه ، وكلّ شيء قطع وسطه فهو مَجوب ومُجَوّب ، ومنه سمّي جيب القميص . (القاموس ، والتاج) .

(٣) سورة مريم ٢٣/١٩

(٤) سورة مريم ٢٤/١٩ ـ ٢٥

(٥) سورة مريم ٢٦/١٩

(٦) سورة مريم ٢٧/١٩

﴿ ما كانَ أبوكِ امرأَ سَوْءٍ وما كانتْ أمُّكِ بَغِيّاً ، فأشارتْ إليهِ ﴾[1] أن كلّموه ﴿ قالوا كيفَ نكلِّمُ مَنْ كانَ في المهدِ صبيّاً ﴾[1] والمهد حجرها ، فنزع فمه من ثديها وجلس واتّكأ على يساره ، فقال : ﴿ إنّي عبدُ اللهِ آتانيَ الكتابَ وجَعَلَني نبيّاً ، وجعلني مباركاً [٣٣/ب] أينما كُنْتُ وأوْصاني بالصّلاةِ والزّكاةِ ما دُمْتُ حَيّاً ﴾[2] حتى بلغ ﴿ فاختلفَ الأحزابُ ﴾[3] والأحزاب : الناس .

وفي حديث :

أن مريم خرجت إلى جانب المحراب لحيض أصابها فلمّا طهرت إذا هي برجل معها ، وهو قوله ﴿ فأرسَلْنا إليها روحَنا فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً ﴾[4] وهو جبريل عليه الصّلاة والسّلام ، ففزعت منه و ﴿ قالَتْ إنّي أعوذُ بالرّحمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً ، قالَ إنّما أنا رسولُ ربِّكِ لأهبَ لكِ غلاماً زَكيّاً ﴾[5] ، فخرجت وعليها جلبابها ، فأخذ بكمّها فنفخ في جيب درعها ، وكان مشقوقاً من قدامها ، فدخلت النفخة صدرها ، فحملت .

فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة لتزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتها[6] ، فقالت امرأة زكريا : يامريم أشعرت أني حبلى ؟ قالت مريم : أشعرت أيضاً أنّي حبلى ؟ قالت امرأة زكريا : فإنّي وجدت ما في بطني سجد للذي في بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ ﴾[7] وذكرت القصة .

وعن ابن عباس :

في قوله : ﴿ وبَرّاً بوالِدَيْهِ ﴾[8] قال : كان لا يعصيهما ، ﴿ ولم يكُنْ جبّاراً ﴾[8] قال : لم يكن قتّال النفس التي حرّم الله قتلها ﴿ عصيّاً ﴾[8] يعني لم يكن عاصياً لربّه ،

---

(١) سورة مريم ١٩/٢٨ ـ ٢٩

(٢) سورة مريم ١٩/٣٠ ـ ٣١

(٣) سورة مريم ١٩/٣٧

(٤) سورة مريم ١٩/١٧

(٥) سورة مريم ١٩/١٨ ـ ١٩

(٦) التزمتها : اعتنقتها . (الصحاح) .

(٧) سورة آل عمران ٣/٣٩

(٨) سورة مريم ١٩/١٤

﴿ وسلامٌ عليهِ ﴾[1] يعني حين سلّم اللهُ عليه ﴿ يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾[2] .

ولما وهب الله لزكريا يحيى ، بلغ ثلاث سنين ، بَشَّرَ الله مريم بعيسى .

فبينا هي في المحراب ﴿ إذ قالت الملائكة ﴾[3] وهو جبريل وحده : ﴿ يامَرْيَمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطَهَّرَكِ ﴾[3] من الفاحشة ﴿ واصطفاكِ ﴾[3] يعني اختارك ﴿ على نساء العالمينَ ﴾[3] عالم أُمّتها ﴿ يامريمُ اقْنُتي لربِّكِ ﴾[4] يعني صلّي لربّك ، يقول : اذكري لربّك في الصّلاة بطول القيام ، فكانت تقوم حتى ورمت قدماها ، ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾[4] يعني مع المصلين ، مع قرّاء بيت المقدس .

[5]والقنوت : طاعة الله عزّ وجلّ . وقيل : ﴿ اقْنُتي لِرَبِّكِ ﴾[4] سجدت حتى نزل الماء الأصفر في عينها[5] .

يقول الله لنبيّه ﷺ : ﴿ ذلكَ مِنْ أنباء الغَيْبِ نوحيهِ إليكَ ﴾[6] يعني بالخبر الغيب في قصة زكريا ويحيى ومريم ، و﴿ ماكُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾[6] يعني عندهم ﴿ إذْ يُلْقونَ أقْلامَهُمْ ﴾[6] في كفالة مريم .

ثم قال : يامحمد ، يخبر بقصة عيسى ﴿ إذ قالَتِ الملائكةُ يامريمُ إنَّ اللهَ يبشِّرُكِ بكلمةٍ منهُ اسْمُهُ المسيحُ عيسى بنُ مَرْيَمَ وجيهاً في الدُّنيا ﴾[7] يعني مكيناً عند الله [٣٤/أ] في الدُّنيا ومن المقربين في الآخرة ﴿ ويُكَلِّمُ النّاسَ في المهدِ ﴾[8] يعني في الخرق في محرابه ﴿ وكهلاً ﴾[8] ويكلّمهم كهلاً إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء ﴿ ومِنَ الصّالحينَ ﴾[8] يعني من المرسلين .

---

(١) سورة مريم ١٥/١٩

(٢) سورة مريم ١٥/١٩

(٣) سورة آل عمران ٤٢/٣

(٤) سورة آل عمران ٤٣/٣

(٥-٥) مابين الرقمين لحق في هامش الأصل .

(٦) سورة آل عمران ٤٤/٣

(٧) سورة آل عمران ٤٥/٣

(٨) سورة آل عمران ٤٦/٣

وفي حديث :

لما استقرّ حمل مريم ، وبشّرها جبريل ؛ فوثقت بكرامة الله ، واطمأنت وطابت نفساً ، واشتدّ أزرها .

وكان معها في المحرّرين ابن خال لها يقال له يوسف ، وكان يخدمها من وراء الحجاب ، ويكلّمها ، ويناولها الشيء من وراء الحجاب ، وكان أول من اطّلع على حملها هو ، واهتم لذلك ، وأحزنه ، وخاف منه البليّةَ التي لاقبل له بها ، ولم يشعر من أين أُتِيَتْ مريم ، وشغله عن النظر في أمر نفسه وعمله لأنه كان متعبّداً حكيماً ، وكان من قبل أن تضرب مريم الحجاب على نفسها تكون معه ونشأ معها .

وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذا قُلّتيهما[1] ثم انطلقا إلى المغارة التي فيها الماء ، فيملأان قلّتيهما ثم يرجعان إلى الكنيسة ، والملائكة مقبلة على مريم بالبشارة ﴿ يامريمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطَهَّرَكِ ﴾[2] فيعجب يوسف مما يسمع .

فلما استبان ليوسف حمل مريم وقع في نفسه من أمرها حتى كاد أن يفتتن ، فلما أراد أن يتهمها في نفسه ذكر ماطهرها الله واصطفاها ، وماوعد الله أُمَّها أنه معيذها وذريتها من الشيطان الرجيم ، وماسمع من قول الملائكة : ﴿ يامريمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطَهَّرَكِ ﴾[3] فذكر الفضائل التي فضلها الله عزّ وجلّ بها ، وقال : إن زكريا قد أحرزها[4] في المحراب ؛ فلا يدخل عليها أحد ، وليس للشيطان عليها سبيل ؛ فمن أين هذا ؟ فلما رأى من تغيُّر لونها ، وظَهَرَ بطنها ، عظم ذلك عليه وتَحَيَّر فيه رأيه وعقله ، وخاف الإثم من التّهمة وسوء الظنّ بها .

فعرض لها فقال : يامريم هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت : نعم . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : إن الله خلق البذر الأول من غير نبات ، وأنبت الزرع الأول من غير بذر ، ولعلك تقول : لم يقدر أن يخلق الزرع الأول إلاّ بالبذر ، ولعلك تقول :

---

(١) قلّتيها : القلّة : إناء للعرب كالجرّة الكبيرة . (اللسان) .

(٢) سورة آل عمران ٤٢/٣

(٣) سورة آل عمران ٤٢/٣

(٤) أحرزها : جعلها في حرز ، وهو الموضع الحصين . (الصحاح) .

لولا أنه استعان عليها بالبذر لغلبه حتى لا يقدر على أن يخلقه [٣٤/ب] ولا ينبته .

قال يوسف : أعوذ بالله أن أقول ذلك ، قد صدقت ، وقلت بالنور والحكمة ، كما قدر أن يخلق الزرع الأول وينبته من غير بذر يقدر على أن يجعل زرعاً من غير بذر .

قال لها يوسف : أخبريني فهل ينبت الشجر من ماء ولا مطر ؟ قالت : ألم تعلم أن للبذر والزرع والماء والمطر والشجر خالقاً واحداً ؟ فلعلك تقول : لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر ! قال : أعوذ بالله أن أقول ذلك ، قد صدقتِ وتكلّمتِ بالنّور والحكمة ، فأخبريني هل يكون ولد أو حبل من غير ذكر ؟ قالت : نعم . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء امرأته من غير حَبَل ولا أنثى ولا ذكر ؟ قال : بلى .

قال لها : فأخبريني خبرك ، قالت : بشّرني الله ﴿ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيحُ عيسى بن مريمَ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ ومنَ الصّالحينَ ﴾[1] .

فعلم يوسف أن ذلك أمر من الله بسبب خير أراده بمريم ، فسكت عنها ، فلم تزل على ذلك حتى ضربها الطَّلْقُ ، فنوديت : أن اخرجي من المحراب ، فخرجت .

وعن أبي وائل قال :

لقد علمت مريم أن التّقي ذو نُهْيَةٍ[2] حتى قالت : ﴿ إنّي أعوذُ بالرّحمنِ منكَ إنْ كنتَ تقيّاً ﴾[3] .

وقيل :

إن مريم حملت بعيسى تسعة أشهر ، وأن زكريّا النجار هو القائل لها : أخبريني : هل يكون زرع من غير بذر . الحديث .

وقيل :

لم يكن في حمل مريم إلا أن حملت ثم وضعت .

---

(١) سورة آل عمران ٤٥/٣ ـ ٤٦

(٢) ذو نهية : ذو عقل . (اللسان) .

(٣) سورة مريم ١٨/١٩

وقيل :

إنها وضعت لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد مولود لثمانية أشهر إلاّ مات لئلا تُسَبَّ مريم بعيسى عليه السّلام .

وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ :

« أكرموا عمّتكم النّخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم ، وليس شيء من الشجر يلقح غيرها ، وأطعموا نساءكم الوَلَدَ الرُّطبَ ، فإن لم يكن رُطب فالتّمر ، فليس شيء من الشجر أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران » .

كتب قيصر إلى عمر بن الخطّاب : إن رسلي أخبروني أن قبلكم شجرة تحمل مثل أذان الحمر ، ثم تتفلّق عن مثل اللؤلؤ الأبيض ثم تغبر ثم تصير مثل الزُّمرد الأخضر ، ثم تغبرّ فتصير مثل الياقوت الأحمر ، ثم تَيْنَع ثم تنضج [٣٥/أ] فتصير مثل الفالوذجة ، فتصير عصمة للمقيم وزاداً للمسافر ، فإنْ رسلي صدقوني فإنّ[1] هذه شجرة من شجر الجنة .

فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإن رسلك قد صدقوا ، وهي شجرة عندنا يقال لها النخلة ، وهي التي أنبتها الله على مريم حين نفست ، فاتّقِ الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله ، فإنّما ﴿ مثل عيسى عندَ اللهِ كمثلِ آدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لهُ : كُنْ فيكونُ . الْحَقُّ مِنْ ربّكَ فلاتَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرينَ ﴾[2] .

وعن النّبي ﷺ قال :

« أطعموا نساءكم في نفاسهنّ التّمر ، فإنه من كان طعامها في نفاسها التّمر خرج ولدها ذلك حليماً ، فإنه كان طعام مريم حيث ولدت عيسى ، ولوعلم الله طعاماً هو خير لها من التّمر لأطعمها إيّاه » .

وعن النّبي ﷺ :

« أن مريم بنت عمران سألت ربّها أن يطعمها لحماً لادم له ، فأطعمها الجراد ،

---

(١) في الأصل : إنْ .

(٢) سورة آل عمران ٦٠/٣ ، وفي الأصل : تكونَنْ .

فقالت : اللّهم أعشه بغير رضاع ، وتابع بينَهُ بغير شِيَاع[1] .

قيل : ماالشياع ؟ قال : الصّوت .

قال عمرو بن ميمون :

خير الطعام للنفساء التّمر والرُّطب يريد قوله عزّ وجلّ : ﴿ وهُزّي إليكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عليكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾[2] .

وعن الحسن :

سأله رجل : ياأبا سعيد ماتقول في قوله عزّ وجلّ : ﴿ قدْ جَعَلَ رَبُّكِ تحتَكِ سَرِيّاً ﴾[3] ، قال الحسن : عبداً صالحاً تقيّاً ، فقال أعرابي وهو قائم يسمع إلى حديث الحسن : إنا لانقول ذلك ، ولكن نقول : سَرِيّاً يعني جدولاً نهراً صغيراً ، قال الحسن : أحسنت ياأعرابي بمثلها فأفدنا .

قال ابن عباس :

وذلك أنه أصابها العطش ، فأجرى الله لها جدولاً من الأردن ، وحمل الجذع من ساعته رطباً جَنِيّاً يعني بغباره ، فناداها من تحتها جبريل : ﴿ هزّي إليكِ بجذع النّخلة ﴾[3] ولم يكن على رأسها سَعَف[4] ، وكانت قد يبست منذ دهر طويل ، فأحياها الله لها ، وحملت ، فذلك قوله : ﴿ تساقط عليكِ رطباً جَنِيّاً ﴾[5] يعني طريّاً بغباره ، ﴿ فكلي ﴾[6] من الرُّطب ﴿ واشربي ﴾[6] من الجدول ﴿ وقرّي عيناً ﴾[6] بولدك .

فقالت : فكيف لي إذا سألوني : من أين هذا ؟ قال لها جبريل : ﴿ فإمّا

---

(١) الشياع : صوت الزمارة ؛ لأن الراعي يجمع إبله بها ، وهو أيضاً الدعاء بالإبل لتنساق وتجتمع . وعليه فالمعنى : يتابع بينه في الطيران حتى يتتابع من غير أن يُشايَع كما يشايع الراعي بإبله لتجتمع ولاتتفرق عليه . (اللسان) .

(٢) سورة مريم ١٩/٢٥

(٣) سورة مريم ١٩/٢٤

(٤) السّعف : جمع سَعَفَة وهي غصن النّخل . (الصحاح) .

(٥) سورة مريم ١٩/٢٥

(٦) سورة مريم ١٩/٢٦

تَرَيِنَّ ﴾[1] يعني : فإذا رأيت ﴿ منَ البشرِ أحداً فقولي إني نَذَرْتُ للرَّحمنِ صوماً ﴾[1] يعني صمتاً في أمر عيسى ﴿ فلن أكلِّم اليومَ إنْسِيّاً ﴾[1] [٣٥/ب] في أمره حتى يكون هو الذي يعبر عني وعن نفسه . الحديث .

فطلبوها فلما رأت قومها قد أقبلوا إليها احتملت الولد إليهم حتى تَلَقَّتْهُمْ به ، فذلك قوله : ﴿ فأتت بهِ قومها تحمله ﴾[2] أي لا تخاف ريبة ولاتهمة ، فلما نظروا إليها شقّ أبوها مِدْرَعَتَه ، وجعل التراب على رأسه وإخوتها وآل زكريا ، فقالوا : ﴿ يامريمُ لقدْ جئتِ شيئاً فَرِيّاً ﴾[2] يعني عظيماً ﴿ ياأُختَ هارونَ ﴾[3] .

وقال ابن عباس :

في قوله عزّ وجلّ : ﴿ فأَتَتْ بِهِ قومَها تَحْمِلُهُ ﴾[2] قال : بعدما تَعَالَّتْ[4] من نفاسها ، بعد أربعين يوماً .

وعن المغيرة بن شعبة قال :

بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران ، فقالوا : ألستم تقرؤون : ﴿ ياأختَ هارونَ ﴾[5] وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى من القرون[6] ؟ فلم أدرِ ما أجيبهم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصّالحين قبلهم .

وعن مجاهد :

في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ياأخت هارونَ ﴾[5] قال : كان رجل صالح في بني إسرائيل حضر جنازته أربعون ألفاً ممن اسمه هارون سواه .

---

(١) سورة مريم ٢٦/١٩

(٢) سورة مريم ٢٧/١٩

(٣) سورة مريم ٢٨/١٩

(٤) في الأصل : تعلّت . وفي اللسان (علل) : تَعَلَّلت المرأة من نفاسها وتعالّت : خرجت منه وطهرت وحلّ وطؤها .

(٥) سورة مريم ٢٨/١٩

(٦) من القرون لَحَقٌ في هامش الأصل .

وقال مجاهد :

كان رجلاً صالحاً يُسَمَّى هارون بني إسرائيل ، فشبَّهوها به فقالوا : ياشبيهة هارون في الصلاح .

وقال ابن عباس :

﴿ ياأخت هارونَ ﴾[1] إنما كانت من آل هارون .

وعن ابن عباس :

﴿ ماكانَ أبوكِ امرأَ سَوْءٍ وماكانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾[1] يعني زانية ، فأنَّى أتيت هذا الأخ الصالح ، والأب الصالح ، والأُم الصالحة ؟ فأشارت إليه أن كلِّموه فإنه سيخبركم ، وإني نذرت لله صوماً ألا أكلكم في أمره ؛ فإنه سيعبِّر عني ويكون لكم آية وعبرة .

قالوا ياعجباً ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في الْمَهْدِ صَبِيّاً ﴾[2] يعني من هو في الخرق صبيّاً طفلاً لا ينطق إلاّ إن أنطقه الله عزّ وجلّ ، فعبَّر عن أمِّه ، وكان عبرة لهم ، فقال : ﴿ إنِّي عبدُ اللهِ ﴾[3] فلما أن قالها ابتدأ يحيى ـ وهو ابن ثلاث سنين ـ فكان أول من صدق به ، فقال : أنا أشهد أنك عبد الله ورسوله ، لتصديق قول الله : و ﴿ مُصَدِّقاً بكَلِمَةٍ منَ اللهِ ﴾[4] فقال عيسى : ﴿ آتانِيَ الكتابَ وجَعَلَني نبيّاً ﴾[3] إليكم ، ﴿ وجَعَلَني مُباركاً أينما كنتُ ﴾[5] .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلّى [٣٦/أ] الله عليه وسلم :

البركة التي جعلها الله لعيسى أنه كان معلِّماً مؤدِّباً حيثما توجَّه ، فذلك قوله : ﴿ أينما كُنتُ وأَوْصاني بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مادُمْتُ حَيّاً ﴾[5] ، يعني وأمرني بالصلاة والزكاة ﴿ وبَرّاً بوالدتي ﴾[6] .

---

(١) سورة مريم ٢٨/١٩

(٢) سورة مريم ٢٩/١٩

(٣) سورة مريم ٣٠/١٩

(٤) سورة آل عمران ٣٩/٣

(٥) سورة مريم ٣١/١٩

(٦) سورة مريم ٣٢/١٩

قال ابن عباس : حين قال : ﴿ وبَرّاً بوالدتي ﴾[1] قال زكريا : الله أكبر ، فأخذه فضمّه إلى صدره .

قال ابن شوذب :

كانت لرجل جارية ، وكان يطؤها سراً من أهله ، فوطئها فقال لأهله : اغتسلوا فإن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، قال : وكانت مريم تغتسل في كل ليلة .

وعن علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« خير نسائها مريم [2]بنت عمران هي خير نسائها يومئذ[2] وخير نسائها خديجة بنت خويلد » .

وفي رواية عنه :

« خير نساء الجنة مريم بنت عمران وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ، ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون » .

وعنه عن النبي ﷺ قال :

« أربع نسوة سادات عالمهن : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وأفضلهن عالماً فاطمة » .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« حسبك من نساء العالمين بأربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، صلوات الله عليهن[3] أجمعين » .

---

(١) سورة مريم ١٩/٣٢

(٢ـ٢) مابين الرقمين لحق في هامش الأصل متبوعاً بكلمة صح ، والحديث في البخاري ٢/٢٥٣ و ٢/٣١٥ وعبارة : « خير نسائها يومئذٍ » ليست فيه .

(٣) في الأصل : عليهم .

وعنه أن النبي ﷺ قال :

« خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وعليهن وسلم » .

وعن عائشة :

أنها قالت لفاطمة : أرأيت حين أكببْتِ على رسول الله ﷺ فبكيتِ ، ثم أكببتِ فضحكتِ ؟ قالت : أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيتُ ، ثم أكببتُ فأخبرني أني أسْرَعُ أهلِهِ لحوقاً به ، قال : « وأنتِ سيدة نساء أهل الجنة ، إلا مريم بنت عمران » ؛ فضحكت .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :

« فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ماكان من مريم بنت عمران » .

وعن علي :

أن فاطمة شكت إلى رسول الله [٣٦/ب] ﷺ فقال : « ألا ترضين أني زَوَّجْتُكِ أقدم أمتي سَلْماً[1] ، وأحلمهم حلماً ، وأكثرهم[2] علماً ؟! أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا ماجعل الله لمريم بنت عمران ، وأن ابنيك سيّدا شباب أهل الجنة ؟! » .

وعن عمار بن سعد قال :

رأت عائشة زوج النبي ﷺ ، النبي ﷺ يقطع اللحم لفاطمة وابنيها ، فقالت : يا رسول الله لابنة[3] الحمراء وَحَيْشِ[4] مَنْ رأيته تقطع اللحم ، فغضب النبي ﷺ ، فترك عائشة لا يكلمها ، وأن أم رومان[5] كلمته فقالت : يا رسول الله إن عائشة هنة[6]

---

(١) السَّلْم : بفتح السين وكسرها : الإسلام . (القاموس) .

(٢) في الأصل : وأكثر .

(٣) في الأصل : لابنت .

(٤) وحيش : مصغر وحش ، وهو الجائع . (اللسان) . وفي تراجم النساء من تاريخ مدينة دمشق ٣٨٠ لابن عساكر ، تحقيق سكينة الشهابي : أوحش .

(٥) أم رومان : والدة السيدة عائشة .

(٦) هنة : أصلها هَنْوَة ، أي : شيء يسير . (القاموس) وهي في تراجم النساء : (بنية) .

فلا تؤاخذها ، فقال : « وتدرين ماقالت ؟! إنها قالت : كذا وكذا في خديجة ، وقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين » .

وعن عتبة بن عبيد الثمالي قال : قال رسول الله ﷺ :

« لو أقسمت لبررت ، لا يدخل الجنة قبل سابق أمتي إلا بضعة عشر رجلاً منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى ومريم بنة عمران » .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« خَيْرُ نساءٍ ركبْنَ الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده ، ولو علمت أن مريم ركبت الإبل مافضلت عليها أحداً من النساء » .

وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال :

« كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

وعن ابن عمر قال :

نزل جبريل إلى رسول الله ﷺ بما أرسل به ، وجلس يحدث رسول الله ﷺ إذ مرّت خديجة بنت خويلد ، فقال جبريل : من هذه يا محمد ؟ قال : هذه صِدّيقة أمتي ، قال جبريل : معي إليها رسالة من الرب تبارك وتعالى يقرئها السلام ، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب ، لا نصب فيه ولا صخب . قالت : الله السلام ومنه السلام ، [٣٧/أ] والسلام عليكما ، ورحمة الله وبركاته على رسول الله ﷺ ، ماذلك البيت الذي من قصب ؟ قال : لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ، وهما من أزواجي يوم القيامة .

وعن ابن عباس :

أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال : يا خديجة ، إذا لقيت ضرائرك فاقرئهن مني السلام ، قالت : يا رسول الله وهل تزوجت قبلي ؟ قال : لا ، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ :

« أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون » فقلت : هنيئاً لك يا رسول الله .

وعن ابن أبي رَوّاد قال :

دخل رسول الله ﷺ على خديجة في مرضها الذي توفيت فيه ، فقال لها : بالكره مني ماأرى منك يا خديجة ، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً ، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون ؟ قالت : وقد جعل الله ذلك بك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قالت : بالرفاء[1] والبنين .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ :

« الصخرة صخرة بيت المقدس على نخلة ، والنخلة على نَهَر في أنهار الجنة ، وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ينظِمان سُموط[2] أهل الجنة يوم القيامة » .

كان من دعاء مريم أم عيسى : اللهم املأ قلبي منك فرحاً وغشّ وجهي منك الحياء .

وكان من دعاء بعض التابعين : اللهم وأمِتْ قلبي بخوفك وخشيتك ، وأحْيِه بحبك وذكرك .

قال يحيى بن حبيب :

بلغني أن أهل بيت من بني إسرائيل كانوا أهل بيت الملك ، قال : فاندست إليهم مريم إلى نسائهم فقالت : هذا الملك قد ظفر بعيسى فقتله وصلبه فما يصنع بصلبه وقد بلغ حاجته منه ، فلو كلمتم صاحبكم أو من يكلمه أن يهب لي جسده ، قال : فكلم ، فوعدهم أن يفعل . قال : فوجد منه خلوة [٣٧/ب] قال : فذكروا له أن أهل هذا البيت كانوا منقطعين إلينا ، وقد ظفرت به وقتلته ، وبلغت حاجتك منه فما تصنع بصلبه ؟ هب لي جسده ، قال : نعم ، قد وهبت لك .

---

(١) الرفاء : الالتئام وجمع الشمل . (القاموس) .

(٢) سموط : ج سِمط وهو الخيط مادام فيه الخرز وإلا فهو سلك (الصحاح) .

قال : فاستنزل ودفن ، قال : وأهل الفتى الذي ألقي عليه شبه عيسى قد فقدوه وهم يبكون لا يدرون مافعل .

فقالت مريم لأم يحيى : انطلقي بنا نزور قبر المسيح ، وهم لا يرون إلا أنه عيسى .

قال : فخرجتا تمشيان مستترتين ، فلما أن برزتا تركتا بعض التستر . فبينما هما تمشيان إذ تَسَتَّرت مريم حين دنت من القبر ، وجعلت أم يحيى لاتستتر ؛ قالت لها مريم : مالك لاتستترين ؟ قالت[1] : وممن أتستر ؟ قالت : أوَماترين الرجل على قبر المسيح ؟ قالت لها أم يحيى : ماأرى أحداً . قالت : لا ، قال : فَرَجَتْ مريم أن يكون جبريل ، قال : ولم يكن لها عهد بجبريل بعد الوقعة الأولى ، فقالت لأم يحيى : كما أنت لاتبرحي ، ومضت إلى القبر ، فقال لها جبريل : يا مريم ، أين تريدين ؟ قال : فعرفته ، فقالت : أريد قبر المسيح أسلم عليه وأحدث به عهداً .

قال : يا مريم ، إن هذا ليس المسيح ، إن الله قد رفع المسيح وطَهَّرَه من الذين كفروا ، ولكن هذا الفتى الذي أُلقِيَ عليه شَبَه عيسى ، فأخذ وقتل وصلب ، وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون مافعل ، فهم يبكون عليه ، فإذا كان يوم كذا وكذا فَأْتي غَيْضَةَ كذا وكذا فإنك تَلْقَيْنَ المسيح .

قال : فرجعت إلى أختها ، وصعد جبريل ، فأخبرت أم يحيى أنه جبريل ، وما أخبرها جبريل من إتْيان الغيضة ، فإذا هي بعيسى في الغيضة ، فلما رآها أسرع إليها فأكب عليها ، وقبل رأسها ، وجعل يدعو لها ، كما كان يفعل ، وقال : يا أُمَّهْ ، إن القوم لم يقتلوني ، ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك ، والموت يأتيك قريباً ، فاصبري واذكري الله ، ثم صعد عيسى ، ولم تلقه إلا تلك اللقاة حتى ماتت .

وقيل : إن مريم بقيت بعد رفع عيسى خمس سنين ، وكان عمرها ثلاثاً وخمسين سنة .

---

(١) في الأصل : قال .

[٣٨/أ]

٤٨ ـ مريّة ، ويقال : مُرّية

امرأة هشام بن عبد الملك ومروان بن محمد
ويقال : إنها بنت مروان بن محمد

قال الفضل بن يعقوب :

كنت آلف زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وأكتب عنها أخبار أهلها ، وكانت لها جارية يقال لها : كتاب ، فوقعت في نفسي ، فبكرت إليها يوماً وقلت : لي حاجة ، قالت : سل ما أحببت ، فقلت : إن كتاب[1] جاريتك قد شغلت قلبي عليّ فهبيها لي ؛ فقالت : اقعد أحدثك حديثاً كان أمس أنفع لك من كل كتابٍ على ظهر الأرض ، وأنت من كتابَ على وعد :

كنت أمس عند الخيزران ، وعادتها إذا كنت عندها أن تجلس في عتبة الرّواق[2] المقابل للإيوان ، وأجلس بإزائها ، وفي الصدر مجلس للمهدي مُعَدٌّ وهو يقصدنا في كل وقت ، فيجلس ساعة ثم ينهض .

فبينا نحن كذلك إذ دخلت عليه جارية من جواريها اللاتي كنّ يحجبنها ، فقالت : أعز اللهُ السيدة ، بالباب امرأة ، لها جمال وخلقة حسنة ، ليس وراء ماهي عليه من سوء الحال غاية ، تستأذن عليك ، وقد سألتها عن اسمها ، فامتنعت أن تخبرني ، فالتفتت إليّ الخيزران ، فقالت : من ترين ؟ فقلت : أدخليها ؛ فإنه لابد من فائدة أو ثواب .

فدخلت امرأة كأجمل النساء وأكملهن لاتتوارى ، فوقفت إلى جانب عضادة الباب ، فسلمت متضائلة ، ثم قالت : أنا مريّة بنت مروان بن محمد الأموي ، فقالت زينب : وكنت[3] متكئة فاستويت جالسة فقلت : مرية ، فإيّاك لا حيّا الله ولا قرّب ، والحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك ، تذكرين ، يا عدوة الله ، حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في الإذن لي في الدفن لإبراهيم بن محمد فوثبتِ عليهن وأسمعتهن ماأسمعتِ ، وأمرتِ بإخراجهن ، فأُخْرِجْنَ على الجهة التي أُخْرِجْنَ عليها ؟

---

(١) في الأصل : كتاباً .

(٢) الرّواق : سقف في مقدم البيت (الصحاح) .

(٣) في الأصل : وكانت .

قال : فضحكَتْ ، فما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ، ثم قالت : أيْ بنتَ عم ، أي شيء أعجبك من حسن صنيع الله لي على العقوق حتى أردت أن تتأنَّيْ بي فيه ؟ آلله ، إني فعلت بنساء من أهل بيتك ما فعلت ، فأسلمني الله إليك ذليلة جائعة عريانة ، فكان هذا مقدارَ شكرك لله على ما أولاك فيَّ ، ثم قالت : [٣٨/ب] السلام عليكم وولَّتْ .

فصاحت بها الخيزران : ليس هذا لك ، عليَّ استأذنتِ ، وَإليَّ قَصَدْتِ ، فما ذنبي ؟ فرجعت وقالت : لعمري لقد صدقت يا أُخَيَّة ، وكان مما ردني إليك ما أنا عليه من الضرّ والجهد .

قالت زينب : فنهضت إليها الخيزران لتعانقها ، فقالت : مافيَّ لذلك موضع مع الحال التي أنا عليها ، فقالت لها الخيزران : فالحَمّام إذاً ، وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها إلى الحمام وتنظيفها .

فدخلت ، فطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر ، فخرجت جارية من جواري الخيزران وهي تضحك ، فقالت لها الخيزران : ما يضحكك ؟ قالت : مِنْ هذه المرأة ومن تحكمها علينا وانتهارها لنا ، فإنها تفعل من ذلك فعلاً ماتفعلينه أنت ! .

فلم تزل حتى خرجت من الحمام ، فوافتها الخِلَع والطيب ، فأخَذَتْ من الثياب ما أرادت ، وتطيبت ، وخرجت ، فعانقتها الخيزران ، وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه المهدي .

فقالت لها الخيزران : هل لك في الطعام ؟ فإنا لم نطعم بعد ، فقالت : مافيكنَّ أحد أحوج إليه مني ، فعجلوه .

فأتي بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة ، وتلقمنا ، وتضع بين أيدينا ، ثم غسلنا أيدينا .

فقالت لها الخيزران : من وراءك ممن تعنين به ؟ فقالت : ماخارج هذه الدار أحد من خلق الله بيني وبينه سبب ؛ فقالت الخيزران : إن كان هذا هكذا فقومي بنا حتى تختاري[1] لنفسك مقصورة[2] من مقاصرنا ، وأحوّل إليها جميع ماتحتاجين إليه ، ثم لا نفترق حتى يفرق بيننا الموت .

---

(١) في الأصل : تختارين .

(٢) المقصورة : إذا كانت الدار واسعة محصنة الحيطان ، فكل ناحية منها على حيالها مقصورة ، وجمعها مقاصر ومقاصير ، أو هي الدار الواسعة المحصنة ، وقيل : هي أصغر من الدار . (اللسان) .

فقامت ، وطفنا بها في المقاصر ، واختارت أوسعها وأنزهها ، ولم نبرح حتى حُوّل إليها جميع ماتحتاج إليه من الفرش والكساء والخزائن والرقيق ، وخرجنا عنها .

فقالت الخيزران : إن هذه المرأة كانت فيما كانت فيه ، وقد مسَّها ضر ، وليس يغسل ما في قلبها إلا المال ، فاحملوا إليها خمس مئة ألف درهم ، فحملت إليها .

ووافانا المهدي ، فحدثته حديثها ، فوالله ماانتظر أن أعرف الجواب حتى وثب في وجهي مغضباً ، فقال : زينب ، الله ! إن هذا مقدار شكرك الله على نعمته ، وقد [٣٩/أ] أمكنك الله من مثل هذه المرأة على هذه الحال التي هي عليها ، فوالله لولا محلك من قلبي لحلفت ألاّ أكلمك أبداً ، فقلت : قد اعتذرت إليها ورضيت ، ثم قصصت عليه[1] قصتها كلها ، وما فعلت الخيزران بها ، فقال لخادم كان معه : احمل إليها مئة بدرة[2] ، وادخل إليها أبلغها مني السلام ، وقل لها : والله ، ماسررت من دهر مثل سروري اليوم بمكانك ، وأنا أخوك ومن يوجب حقك ، فلا تدعي حاجة إلا سألتها ، ولولا أني أكره أن أحشمكِ[3] لصِرتُ إليك مسلماً عليك وقاضياً لحقك .

فمضى الخادم بالمال والرسالة ؛ فأقبلت إلينا معه ، فسلمت على المهدي ، وشكرت له فعله ، وأثنت على الخيزران عنده ، وقالت : ما عليَّ من أمير المؤمنين حشمة ، أنا في عدد حرمه .

وقعدت ساعة ، ثم قامت إلى منزلها ، فخلفها عند الخيزران كأنها لم تزل في ذلك القصر .

فهذا الحديث خير لك من كتاب ، وقد وهبتُ لكَ كتاب[4] .

٤٩ ـ ملكة بنت داود بن محمد بن سعيد القرطكي

العالمة الصوفية

من المعمرات .

---

(١) في الأصل : عليها .

(٢) البدرة : عشرة آلاف درهم (الصحاح) .

(٣) أحشم : أخجل وأغضب (القاموس) .

(٤) في الأصل : كتاباً ، والصواب مافي المتن لأنه اسم علم مؤنث ممنوع من الصرف .

حدثت عن الشريف أبي إبراهيم أحمد بن القاسم بن الميمون بن حمزة بسندها إلى عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« من باع نخلاً قد أُبّرت[1] فثمرتها للبائع إلا أن يشترط المبتاع » .

ولدت سنة ثلاث وأربع مئة ، وتوفيت سنة سبع وخمس مئة .

٥٠ ـ مؤمنة بنت بهلول

إحدى النسوة العابدات .

قال ابن أبي الحواري :

سمعت مؤمنة تقول : إلهي وسيدي لاتجمع عليّ الأمرين : فقدانك والعذاب .

قال :

وسمعتها تقول : ماطابت الدنيا والآخرة إلا به ومعه .

وقالت :

الغافل ينام ولا يقوم ، ولا تطيب ساعة لا يكون فيها ذكر الله عز وجل .

وقالت مؤمنة :

ماالنعيم إلا في الأنس بالله والموافقة لتدبيره .

قال ابن أبي الحواري :

قالت لي مؤمنة الصغيرة : أنا في شيء قد شغل قلبي ، [٣٩/ب] قلت : ماهو ؟ قالت : أريد أن أعرف نعمة الله علي طرفة عين ، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة طرفة عين ، فقلت لها : أنت تريدين مالاتهتدي إليه عقولنا .

٥١ ـ مهدية بنت إبراهيم بن محمد

ابن صالح بن سنان القرشي

وجدت في كتاب أبيها بسنده إلى النعمان بن بشير أنه قال على منبر الكوفة ، وهو يغمز أذنيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبيْنَ ذلك أمور مشتبهات متى يَدَعْهُنَّ المرء

(١) أُبّرت : تأبير النخل : تلقيحه وإصلاحه (الصحاح) .

يكنْ استبرأ لعِرضه ودينه ، ومن يَرْتَعْ فيهنّ يوشكْ أن يرتعَ في الحرام كالمرتع إلى جانب الحمى يوشك أن يقع في الحمى ، ألا وإن لكل ملكٍ حِميً ، وإن حمى الله محارمه » .

٥٢ ـ ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دُلْجَة
ابن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبية
زوج معاوية بن أبي سفيان ، وأم يزيد بن معاوية

كانت لبيبة .

دخل عليها معاوية ومعه حُدَيْج الخصيّ فاستترت منه ، فقال لها معاوية : إن هذا بمنزلة المرأة ، فعلامَ تستترين منه ؟ فقالت له : كأنك ترى أن الْمُثْلَةَ أحلّتْ له مني ما حرم الله عليه .

وحدثت ميسون عن معاوية أن النبي ﷺ قال :

« سيكون قوم ينالهم الإخصاء ، فاستوصوا بهم خيراً » .

أو نحو هذا من الكلام .

وميسون : بياء معجمة باثنتين تحتها ، وسين غير معجمة وبالنون .

ولما تزوجت ميسون معاوية ، ونقلت إلى دمشق ، وأسكنت قصراً من قصور الخلافة ، حنت ذات يوم إلى البادية ، فأنشأت تقول : ـ وقيل : إنه أسكنها الخضراء ؛ فذكرت البداوة ، وكرهت الحضارة فقالت[1] : ـ [من الوافر]

لَلُبْسُ عَبَـــــاءةٍ وتقرَّ عيني ... أحبُّ إليَّ من لُبْسِ الشُّفُــوفِ[2]

[٤٠/أ] وبيتٌ تخفُقُ الأرواحُ فيه ... أحبُّ إليَّ من قصرٍ مُنيفِ

وبَكْرٌ يَتْبَـعُ الأظعـــانَ صَعْبٌ ... أحبُّ إليَّ من بَغْــلٍ زَفُــوفِ[3]

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٦٤١ والحماسة الشجرية ٥٧٢/٢ ـ ٥٧٤ وأمالي القالي ٢٥١/١ والأمالي الشجرية ٢٨٠/١ والخزانة ٥٩٢/٣ والبصائر والذخائر لأبي حيان ١٨/٢ وسيبويه ٤٢٦/١ ومغني اللبيب ٣٥٢ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٨٥/٣ و ١١٦/٤ و ٦٤/٥ ـ ٦٦ و ١١٥ و ١١٢/٦ و ٥٨/٧ و ١٧٨ والمقتضب ٢٦/٢ وابن يعيش ٢٥/٧ والجنى الداني ١٥٧ ورصف المباني ٤٢٣ .

(٢) الشفوف : جمع الشَّف والشِّف ، وهو الثوب الرقيق (القاموس) .

(٣) البكر : الفتي من الإبل (الصحاح) . زفوف : سريع (الصحاح) .

وخِرْقٌ مِنْ بني عمي نجيبٌ أحبُّ إليَّ من عِلْـــجٍ عَليفِ[1]
وكلبٌ يَنْبَـــحُ الطُّرَّاقَ عَنّي أحبُّ إليَّ مِنْ قِـــطٍّ أَلُـــوفِ

عليف :أي سمين ، والقط هاهنا :السِّنَّوْر ،والقط :الكتاب ،والقط :ساعة من الليل .

فقال معاوية : جعلتني علجاً وطَلَّقَها ، وألحقها بأهلها .

٥٣ ـ مَيّة

مولاة معاوية بن أبي سفيان

وقف ابن الزبير على باب ميّة ، مولاة كانت لمعاوية ترفع حوائج الناس إليه .

قال عمر بن شَبّة :

فقلت : يا أبا بكر[2] ، على باب ميّة ؟ قال : نعم ، إذا أعيتك الأمور من رؤوسها فأْتِها من أذنابها .

قال :

وأتى لميّةَ عبدُ الرحمنِ بن الحكم بن أبي العاص بقرطاس فقال : فيه حاجة لي فارفعيها إلى أمير المؤمنين ، فدفعته إلى معاوية ، فقرأه ، فقال : يا مية ، ماأحسب هذا الرجل إلا كاذباً ! قالت : لا يفعل يا أمير المؤمنين ، ما يقول إلا حقاً ، قال : أتدرين ما كتب ؟ قالت : لا والله ، فقرأ عليها[3] : [من الرمل]

ســائـلاً ميّـــةَ هـل نَبَّهْتُهـــا بعـدمـــا نـــامت بِعَرْدٍ ذي عُجَرْ
فَتَخـــاجَتْ فَتَقَـــاعَسْتُ لهـــا جِلْسَةَ الجـازرِ يَسْتَنْجي الوَتَرْ[4]

فقالت : كذب عليه لعنة الله .

---

(١) الخِرْق : من الفتيان : الظريف في سماحة ونجدة ، والكريم (اللسان) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم ، وهو أحد رواة الخبر . (تاريخ مدينة دمشق ، تراجم النساء ٤٠٢) .

(٣) البيتان لعبد الرحمن بن حسان كما في الخصائص ٨/١ ومجالس ثعلب ٢٤٦ واللسان (بزخ ـ نجا ـ بزا) .

(٤) فتخاجت : من التخاجؤ ، وهو أن يُؤَرِّم استه ويخرج مؤخره إلى ماوراءه . واستنجى الجازر وتر المتن : قطعه . (اللسان) .